آداب التلاوة والاستماع

ان على التالي للقرآن الكريم وجائب كثيرة يلزمه مراعاتها والأخذ بها والتأدب بها لأنه بتلاوته لكلام الله انما يناجي مولاه الذي أنعم عليه بنعمة الايمان ، واجابة الدعوى الحقة ، كما أنه يتلقى اوامر الله ونواهيه ، ووعده ووعيده ، لذلك ذكر العلماء رحمهم الله تعالى آداباً كثيرة يلزم مراعاتها عند التلاوة نجتزىء بذكر جزء منها :

يستحب الوضوء لقراءة القرآن حفظاً لأنه من أفضل الاذكار ، وقد كان النبي ﷺ يكره ان يذكر الله تعالى الا على طهر ، ويفترض عليه الوضوء اذا كانت التلاوة بالمصحف لقوله عليه الصلاة والسلام في كتاب عمرو بن حزم : لا يمس القرآن الا طاهر . وان يستاك تعظيما وتطهراً لقوله ﷺ : نظفوا افواهكم فانها مجاري القرآن . وان يجلس القارىء مستقبلا للقبلة متخشعاً بسكينة ووقار ، مطرقاً رأسه ، وان يستوي قاعداً إن كان فى غير صلاة ، ولا يكون متكئاً ، وأن تكون القراءة فى مكان نظيف ، بثياب حسنة نظيفة ، لأنه مناج

ربه ، والأفضل في المسجد ، وأن لا يقرأ في الأسواق ، ولا في مواطن اللغط واللهو ومجمع السفهاء ، وكذلك في الحمام والمواضع القذرة .

ويحسن التعوذ قبل القراءة لكي يكون السامع على علم من ذلك فينصت من أول القراءة ، كما أنه يستطيع سماع القراءة كلها ، واذا أخفى التعوذ ولم يعلم السامع يفوته شيء من المقروء .

ويسن الترتيل فى قراءة القرآن ، والتأني فى القراءة ، ويكره الاسراع فيها . قال فى شرح المهذب : واتفقوا على كراهة الافراط فى الاسراع ، كما اتفقوا على استحباب الترتيل للتدبر لأنه أقرب الى الاجلال والتوقير وأشد تأثيراً في القلوب . وقد قال عليه الصلاة والسلام « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » وقال « لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » « وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن »

وقد نعتت سامة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ

بانها كانت مفسرة حرفاً حرفاً . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة . لأن الترتيل والتوأدة أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال .

وأن يؤدي القارىء لكل حرف حقه من الاداء ، حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً ، وأن يؤدي للآيات حقها ، فاذا قرأ تهديداً لفظ به لفظ التهديد ، أو تعظيما لفظ به على التعظيم وأن تكون القراءة بالتدبر والتفهم إذ بذلك تنشرح الصدور وتتأثر القلوب ، وان تكون القراءة بالتفخيم لقوله عليه الصلاة والسلام : نزل القرآن بالتفخيم . وأن يقرأ على قراءة الرجال لا أن يغير صوته بحيث يكون كصوت النساء ، وأن لا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد على السامع حتى يبغض اليه ما سمع ويكون كهيئة المغالبة .

ويكره قطع القرآن لمكالمة أحد لأن كلام الله تعالى ينبغي الا يؤثر عليه كلام غيره ، لأن فيه استخفافاً بالقرآن ، ولأن اتباع القرآن بعضه بعضاً بالقراءة من البهجة ما يظهر

عند الاتباع ويخفى عند التقطيع ، كما يكره الضحك والعبث والنظر الى ما يلهي . وقال مجاهد : إذ تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فامسك عن القرآن تعظيما حتى يذهب تثاؤبك .

ويجب على السامع عند سماعه تلاوة القرآن المجيد أن يقبل عليه اقبال الخاشع ، والاستماع له استماع الوجل الخائف ، مع تدبر معانيه ، وتفهم حكمه واسراره ، وليستشعر الأدب مع الله عند سماع كلامه ، وليتلق الآيات بوقار وخشية ووجل ولاسيما آيات الوعيد والتهديد والتخويف . قال الله تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون » . وأن ينصت لسماعه ولا يتكلم بشيء الى ان يفرغ التالي من تلاوته لقوله تعالى « واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون »

ويجب على كل مسلم أن يحرص على استماع القرآن عند قراءته كما يحرص على تلاوته ، وأن يتأدب فى مجلس التلاوة .

النسخ

يطلق النسخ في اللغة على ازالة الشيء ومحوه كقولهم نسخت الشمس الظل أي ازالتـــه ، ويطلق ايضاً على النقل والتحويل كقولك نسخت النحل اذا نقلتها من خلية الى أخرى

وفي اصطلاح الاصوليين هو : رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متراخ عنه ، وعلى هذا فليس من النسخ رفع الاباحـــة الاصلية ، ولا رفع الحكم بالموت والجنون ، ولا بيان الحكم بخطاب مقارن يفيد اخراج بعض ماتناوله الخطاب السابق بواسطة تقييده بنحو الشرط أو الغاية والاستثناء

والنسخ قال به عامة المسلمين وخاصتهم الا ابا مسلم محمد بن بحر الاصفهاني المفسر فانه مع قوله بجواز وقوعه عقلا ينكر حصول شيء منه في القرآن الكريم .

والنسخ جائز عقلا ، لان الله تعالى هو العليم بعباده ، الحكيم في اعماله ، فقد يضع حكما ما ، ثم للحكمة والمصلحة حكما آخر ينسخه ، وهو الآمر الناهي باختياره

وليس في العقل مايمنع من ان يأمر بشيء في وقت وينهى عنه في وقت اذا تخلفت تلك الدواعي والاسباب وقامت دواع واسباب أخرى مقامها ، فتقدير الحكم الاول للمصلحة والنفع العام ، والعدول عنه بفرض النسخ انما هو للمصلحة والنفع العام ايضاً ، ومثل ذلك مثل المريض يكون تناول الدواء مفيداً له حين مرضه ، مضراً له بعد شفائه ، وكالغذاء الذي يمنع الطبيب المريض عن تناوله عند مرضه ثم يحتم عليه تناوله بعد شفائه ، أو كالطفل يمنع في اول امره من تناول الطعام ثم يعطى الغذاء الخفيف حتى اذا شب زيد له في ذلك الى ان يتكامل .

ان الامم عرضة لأدوار شتى في التربية فقد يناسبها في وقت ما لا يناسبها في وقت آخر .

ان الاحكام الالهية والاحكام الوضعية سواء في قبولها النسخ وان يستبدل بواحد منها غيره طبقاً لمقتضيات شؤون الحياة والاجتماع ، واننا نرى المجالس التشريعية فى جميع الامم لا تنفك عن تغيير وتعديل انظمتها وقوانينها بحسب حاجة الامة ومبلغ تقدمها ورقيها .

اما ثبوته شرعاً فادلتـــه كثيرة منها قوله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج » فقد نسخت هذه الآية بقوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا) ، فقد كان الواجب على المرأة التربص سنة اذا توفى عنها زوجها ووجوب الوصية لها بالنفقة والسكنى هذه المدة فنسخها الله تعالى بما هو اخف على المرأة الى اربعـــة اشهر وعشرا .. ومنها قوله تعالى (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) الآية . فان هذه الآية تدل على وجوب ثبات الواحد من المسلمين للعشرة من الكفرة فنسخها الله تعالى بما هو اخف على الامة الاسلامية بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) الآية . حيث اوجب صبر الواحد للاثنين .

ومن النسخ : نسخ التوجه في الصلاة لبيت المقدس بالتوجه للكعبة ، ونسخ وجوب صوم عاشوراء بوجوب صوم رمضان ، والوصية للوالدين والاقربين بآية المواريث .

اما حكمة النسخ فهي : ان الدين الاسلامي والتعاليم

المحمدية نزلت تدريجياً اتربية قوم تأصلت فى نفوسهم عادات ومألوفات اعتقدوها سبيل المكارم ووسائل المجد والفخار والعزة حتى انهم ليثورون من اجل كلمة واحدة او دفع منقصة ولو آل الامر للهلاك والدمار وبذل النفس والمال . فشعب هذا شأنه وقد اختاره الله تعالى للقيام بنصرة نبيه ونشر دينه ، ليس من الحكمة في شيء ان يساس قسراً ، وان تنتزع منه مألوفاته قهرا ، بل ينقل تدريجياً من حالة الى حالة اخرى ، حتى اذا ركن للثانية انتقل الى درجة تليها . وقد تدرج الشارع مع العرب الى ان اوصلهم الى الكمال والسعادة قليلا قليلا من حيث يأنسون ولا ينفرون ، مراعياً ضعفهم العقلي ، محافظاً على نفوسهم التي تختلف مواهبها وتتباين مشاربها ولا تعرف غير الانفة والعظمة . ويتجلى هذا فى تحريم الخمر التي كان يتغنى بها شعراؤهم ويتحدث بها شجعانهم ؛ يرونها إمارة الرجولة وعنوان الشهامة ، فجاءت الاحكام والآيات تستلها من نفوسهم رويداً رويداً ، حتى استقر امرها على المنع البات . قال تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » ؛ ثم قال

تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » وبعد هذا التدرج والتفطن لما فيها من ضرر ومنافاة لمكانة العبد من ربه ، قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون »

وقد ثبت ان النسخ لم يقع فى المشروعات الكلية من العقائد والاصول كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يجب لله تعالى من تنزيه عما لا يليق به . كما أن النسخ لم يقع في المقاصد العامة التي ترمي الشرائع الى حفظها كالضروريات والحاجيات والتحسينات . ولم يرد النسخ على الاخبار لانه يستلزم الكذب في خبر الشارع وهو محال .

وقد اختلف العلماء في الآيات التي تناولها النسخ ، فقال بعضهم انها عشرون وقال البعض انها اقل من ذلك . وعلى كل فالنسخ في القرآن الكريم قليل .

اما السور القرآنية باعتبار الناسخ والمنسوخ فاربعة اقسام :

١ — ليس فيه منسوخ ولا ناسخ وهو ثلاث واربعون سورة : الفاتحة ، ويوسف ، ويسن ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والصف ، والجمعة ، والتحريم ، والملك ، والحاقة ، ونوح ، والجن ، والمرسلات ،والنبأ ، والنازعات ، والانفطار والمطففين ، والانشقاق ، والبروج ، والفجر ، والبلد ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والانشراح ، والقلم ، والقدر والبينة ، والزلزلة ، والعاديات ، والقارعة ، والتكاثر ، والهمزة والفيل ، وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والنصر ، وتبت ، والاخلاص ، والفلق ، والناس .

٢ — فيه منسوخ وناسخ وهو خمس وعشرون سورة : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والانفال ، والتوبة وابراهيم ، ومريم ، والانبياء ، والحج ، والنور ، والفرقان ، والشعراء ، والاحزاب ، وسبأ ، والمؤمن ، والشورى ، والذاريات ، والطور ، والواقعة ، والمجادلة ، والمزمل ، والمدثر والتكوير ، والعصر .

٣ — فيه منسوخ فقط وهو اربعون سورة : الانعام والاعراف ، ويونس ، وهود ، والرعد ، والحجر ، والنحل ، والاسراء ، والكهف ، وطه ، والمؤمنون ، والنمل ، والقصص والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وألم السجدة ، وفاطر ، والصافات ، وص ، والزمر ، وحم السجدة (او فصلت) ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والاحقاف ، ومحمد ، وق ، والنجم ، والقمر ، والممتحنة ، ون ، والمعارج ، والقيامة ، والدهر ، وعبس ، والطارق ، والغاشية ، والتين ، والكافرون.

٤ — فيه ناسخ فقط وهو ست سور : الفتح ، والحشر والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والاعلى .

وذكر عن سبب بقاء الآيات التي نسخت احكامها فى القرآن بان القرآن يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به ويتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه ، فتركت التلاوة لهذه الحكمة ، ولما كان النسخ غالباً للتخفيف فقد ابقيت التلاوة تذكيراً للنعمة ورفع المشقة .

وقد وقع النسخ فى التوراة والانجيل ، وذكر العلماء امثلة كثيرة من ذلك نجتزيء هنا بذكر طرف منها :

قد كانت سارة زوجة ابراهيم عليه السلام أخته من ابيه كما يفهم من الآية الثانية عشرة من سفر التكوين اذ يقول فيها : (انها أختي بالحقيقة ابنة أبي وليست ابنة أمي وقد تزوجت بها) ومعلوم ان زواج الاخت في الشريعة الموسوية حرام وفى منزلة الزنا والزوج ملعون وقتل الزوجين واجب كما تدل عليه الآية التاسعة من الباب الثامن عشر من سفر الاخبار وهي : (لا تكشف عورة اختك من ابيك كانت او من امك التي ولدت في البيت او خارجاً من البيت) ويؤخذ لعن المتزوج باخته من الآية الثانية والعشرين من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء اذ تقول « ملعون من يضاجع اخته من ابيه وامه » فلو لم يكن الاقتران بالاخت جائزاً قبل آيات التوراة هذا لما اتخذ ابراهيم اخته سارة حلا له ولكان داخلا في جملة من لعنتهم آيات التوراة .

وان الشريعة الموسوية تبيح للرجل أن يطلق زوجته بكل علة وان يتزوج بها رجل آخر بعد الخروج من بيت الاول كما في الباب الرابع والعشرين من كتاب الاستثناء ، ولكن

لايجوز الطلاق في شريعة عيسى عليه السلام إلا بعلة الزنى ، وكذا لايجوز لآخر زواج المطلقة بل هو بمنزلة الزنى كما في الباب الخامس والتاسع عشر من انجيل متى . وقد اعترض الفريسيون على عيسى عليه السلام في هذه المسألة فاجابهم بقوله : (ان موسى ماجوز لكم طلاق نسائكم إلا لقساوة قلوبكم واما من قبل فانه لم يكن كذلك وانا أقول لكم ان كل من طلق زوجته لغير علة الزنى وتزوج باخرى فقد زنى ومن يتزوج بتلك المطلقة يزني)

ومنها ان كثيراً من الحيوانات كانت محرمة إما جملتها أو بعض أجزائها في شريعة موسى ثم جاء عيسى فاحلها ناسخاً احكام التوراة فيها .

ومنها تعطيل الاعمال في السبت وقتل من يعمل فيه ، فقد جاء في الباب الخامس عشر من سفر العدد قوله (ولما كان بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلا يلقط حباً يوم السبت فاقبلوا به الى موسى وهرون والجماعة كلها فالقوه في السجن لانهم لم يكونوا يعرفون مايجب ان يفعلوا به فقال الرب

لموسى فليقتل هذا الانسان ويرجمه كل الشعب بالحجارة خارجا من المحلة فاخرجوه ورجموه بالحجارة ومات كما أمر الرب) .

وكان اليهود المعاصرون للمسيح عليه السلام يؤذونه ويريدون قتله لاجل عدم تعظيم السبت كما جاء في الآية السادسة من الباب الخامس من انجيل يوحنا : (ومن أجل ذلك طرد اليهود عيسى وطلبوا قتله لانه قد فعل تلك الاشياء يوم السبت). وقد بين العهد القديم علة تقديس يوم عيد الفطير بقوله كما في الباب الثالث والعشرين من سفر الاخبار : (باني اخرج جيوشكم من ارض مصر فاحفظوا هذا اليوم الى اجيالكم سنة الى الدهر) ثم جاءت شريعة عيسى عليه السلام فنسخت جميع ذلك . قال يشوب هارسلي في ذيل شرح آية الاعياد (زال سبب كنيسة اليهود وماشى المسيحيون فى عمل سبتهم على رسوم طفولية الفريسيين)

ثم تأتي قضية الاختتان فقد اوجبته شريعة موسى وقد ختن عيسى عليه السلام كما فى الآية الحادية والعشرين من الباب الثاني من انجيل لوقا وللمسيحيين الى اليوم صلاة معينة

يؤدونها فى يوم ختان المسيح ، وانما نسخـــه الحواريون فى عهـــدهم كما في الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين ، وتشدد مقدسهم بولس فى نسخ هذا الحكم واغرق حتى زعم ان من اختتن لا ينفعه المسيح كما فى الباب الخامس من رسالته الى اهل غلاطية على ان المسيحيين لم يكتفوا بان تنسخ شريعة موسى بشريعة مثلها إلهية كشريعة عيسى بل ان الحواريين انفسهم كانوا هم الذين ينسخون مايشاؤون .

ومن هذا ان الحواريين بعـــد المشاورة نسخوا جميع الاحكام العملية فى التوراة إلا أربعة . ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنى فابقوا حرمتها كما فى الباب الخامس عشر من اعمال الحواريين ، ثم جاء بولس بعد ذلك فاحلها جميعاً إلا الزنى .

المحكم والمتشابه (١)

الاحكام فى الاصل المنع والدفع ، ومادة حكم تفيد ذلك ومنه حكم الحاكم لانه منع الظالم ، وحكمة اللجام — بالتحريك — ما احاط بحنك الفرس من لجامه . واستعمل الاحكام فى الاتقان والتوثيق لان ذلك يمنع تطرق ما يضاد المقصود ، ولذا سميت الحكمة حكمة حقيقة او مجازاً مشهوراً .

واما المتشابه فاصله التماثل وهو ان يكون شيء مشابهاً لآخر يشابهه هو ، لأن مشابهة كل منهما الآخر توجب قوة الشبه حتى تتعذر التفرقة قال تعالى « ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون »

وقد اختلف علماء الاسلام في تعيين المقصود من المحكم والمتشابه هنا على اقوال مرجعها الى تعين الوضوح والخفاء ، فعن ابن عباس : ان المحكم ما لا تختلف فيه الشرائع ، كتوحيد الله تعالى ، وتحريم الفواحش . وان المتشابه هو المجملات التي لم تبين ، كحروف اوائل السور .

---

(١) لخصنا هذا البحث عن مقال للعلامة السيد محمد الطاهر ابن عاشور

وللجمهور مذهبان احدهما : المحكم ما اتضحت دلالته ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه . وثانيهما ، ان المحكم الواضح الدلالة ، والمتشابه خفيها . فالنص والظاهر هما : المحكم لاتضاح دلالتهما وان كان احدهما — أي الظاهر — يتطرقه احتمال ضعيف ، والمجمل والمؤول هما المتشابه لاشتراكهما في خفاء الدلالة ، وان كان احدهما — أي المؤول — دالا على معنى مرجوح يقابله معنى راجح ، والمجمل دالا على مرجوح يقابله معنى مرجوح آخر . قال الشاطبي : فالتشابه حقيقي واضافي ، فالحقيقي ما لا سبيل الى فهم معناه ، وهو المراد من الآية « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم » والاضافي ما اشتبه معناه لاحتياجه الى مراعاة دليل آخر ، فاذا تقصى المجتهد أدلة الشريعة وجد فيها ما يبين معناه ، والتشابه بالمعنى الحقيقي قليل جداً فى الشريعة ، وبالمعنى الاضافى كثير .

وقد دلت هذه الآية « هو الذي انزل عليك الكتاب الخ » على ان من القرآن محكما ومتشابها ، ودلت آيات أخر على ان القرآن كله محكم : كتاب احكمت آياته .. تلك آيات الكتاب الحكيم » ، والمراد انه أحكم واتقن في بلاغته وفصاحته ، كما دلت آيات على ان القرآن كله متشابه : « الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً » والمعنى انه تشابه بين الحسن والبلاغة والحقيقة وذلك معنى قوله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » فلا تعارض بين هذه الآيات لاختلاف المراد بالاحكام والتشابه .

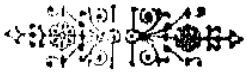

سبب ورود المتشابه في القرآن

وسبب وقوع المتشابهات في القرآن هو كونه دعوة وموعظة وتعليما وتشريعاً باقياً ومعجزة في آن واحد ، وخوطب به قوم لم يسبق لهم عهد بالتعليم والشرائع فكان جائياً على اسلوب مناسب يجمع هذه الامور الثلاثة بحسب حال المخاطبين الذين لم يعتادوا الاساليب التدريسية والامالي العلمية ، وانما كانت هجيراهم الخطابة والمقاولة ، فاسلوب المواعظ والدعوة قريب من اسلوب الخطابة وهو لذلك لا يأتي على اساليب الكتب المؤلفة للعلم والقوانين الموضوعة للتشريع فاودعت العلوم المقصودة منه في تضاعيف الموعظة والدعوة وكذلك اودع فيه التشريع فلا تجد احكام النوع من المعاملات كالبيع متصلا بعضها ببعض بل تلقيه موزعا على حسب ما اقتضته مقامات الموعظة والدعوة ليخف تلقيه على السامعين ويعتادوا علم مالم يألفوه في اسلوب قد ألفوه فكانت متفرقة يضم بعضها الى بعض بالتدبر .

ثم ان العلوم التي تعرض لها القرآن هي من العلوم العليا او هي علوم ماوراء المادة وعلوم مراتب النفوس وعلوم النظام العمراني وعلوم الحكمة وعلوم الحقوق ، وفي ضيق اللغة الموضوعة عن الايفاء بغايات مرادات هاته العلوم وقصور حالة استعداد افهام عموم المخاطبين لها ما اوجبت تشابها بين مدلولات الآيات الدالة عليها .

واعجاز القرآن منه اعجاز نظمي ، ومنه اعجازعلمي ، وهو ضرب عظيم من الاعجاز ، فاما تعرض القرآن الى بعض دلائل الاكوان وخصائصها فيما تعرض اليه جاء به محكما بعبارة تصلح لحكاية حالته على ما هو في نفس الامر ، وربما كان ادراك كنه حالته في نفس الامر مجهولا لاقوام فيعدون تلك الآي الدالة عليه من المتشابه ، فاذا جاء قوم بعدهم فادركوا المراد منها علموا ان ما عده الذين قبلهم متشابهاً ما هو الا محكم ، على أن من مقاصد القرآن أمرين آخرين :

أحدهما : كونه شريعة داعية وذلك يقتضي فتح ابواب عبارته لمختلف استنباط المستنبطين حتى يؤخذ منه أحكام الاولين والآخرين .

وثانيها : تمويد حملة هذه الشريعة وعلماء الامة بالتنقيب والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الادلة حتى تكون طبقات علماء الامة صالحة في كل زمان لمشاركة المشرع في مراده من التشريع ، ولو صيغ لهم التشريع في اسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف على ما بين انظارهم في المطالعة الواحدة . من أجل هذا كانت صلوحية عباراته لاختلاف منازع المجتهدين قائمة مقام تجديد الكتب والتآليف في اختلاف أنظمة التعليم .

فاذا علمت هذا علمت اصل السبب في وجود ما يسمى بالمتشابه في القرآن .

obeikandl.com

مراتب التشابه

وبقي أن نذكر مراتب التشابه وتفاوت اسبابها ، وانها فيما انتهى اليه استقراؤنا الآن عشر مراتب :

اولاها : معان قصد ايداعها في القرآن وقصد اجمالها اما لعدم قابلية البشر لفهمها ولو في الجملة ان قلنا بوجود المجمل الذي استأثر الله به ، ونحن لانختاره ، واما لعدم قابليتهم لفهمها بالكنه فالقيت اليهم على وجه الجملة ، او لعدم قابلية بعضهم في عصر او جهة لفهمها بالكنه ، وهذا مثل احوال القيامة وبعض شؤون الربوبية ، كالتجلي في ظل الغمام والرؤية والكلام ونحو ذلك .

ثانيتها : معان قصد الاعلام بها وتعين ايرادها مجملة مع امكان حملها على معان معلومة لكن بتأويلات ، كحروف أوائل السور ، ونحو الرحمن على العرش استوى ، ثم استوى الى السماء .

ثالثتها : معان عالية ضاقت عن تمام كنهها اللغة الموضوعة

لاقصى ما هو متعارف الواضعين لا لغير المتقارب فعبر عن تلك المعاني باقصى ما يقرب معانيها الى الافهام ، وهذا مثل اكثر صفات الله ، نحو : الرحمن الرؤوف المتكبر ، نور السموات والارض .

رابعتها : معان قصرت عنها الافهام في بعض احوال العصور ، واودعت في القرآن ليكون وجودها معجزة لاهل العلم في عصور قد يضعف فيها ادراك الاعجاز النظمي نحو : « والشمس تجري لمستقر لها . وارسلنا الرياح لواقح . يكور الليل على النهار ... وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ... تنبت بالدهن .. زيتونة لا شرقية ولا غربية .. وكان عرشه على الماء ... ثم استوى الى السماء وهي دخان » وذكر يأجوج ومأجوج[1] .

خامستها : مجازات وكنايات مستعملة في لغة العرب الا ان ظاهرها اوهم معاني لا يليق الحمل عليها ، وتوقف فريق في

---

(١) هذه آيات دلت على معان عظيمة كشفتها العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية والجغرافية وتفصيلها يحتاج الى تطويل .

محملها تنزيها نحو : « فانك باعيننا ... والسماء بنيناها بأيد ... ويبقى وجه ربك » ونحو المشاكلة في « يخادعون الله وهو خادعهم »

سادستها : الفاظ من لغات العرب لم تعرف لدى الذين نزل القرآن بينهم من قريش والانصار مثل « وفاكهة وابا .. أو يأخذهم على تخوف .. ان ابراهيم لأواه حليم . . ولا طعام الا من غسلين » وقريب من هذا « وآتت كل واحدة منهن سكيناً »

سابعتها : مصطلحات شرعية لم يكن للعرب علم بخصوصها فما اشتهر منها بين المسلمين معناه صار حقيقة عرفية كالتيمم والزكاة ، وما لم يشتهر بقي فيه اجمال كالربا .

ثامنتها : اساليب عربية جهلها اقوام فظنوا الكلام بها متشابهاً ، وهذا مثل زيادة الكاف فى قوله تعالى « ليس كمثله شيء » ومثل قوله تعالى « وما كادوا يفعلون ... وما ربك بظلام للعبيد »

تاسعتها : آيات جاءت على عادات العرب ففهمها المخاطبون

وجاء من بعدهم فلم يفهموها فظنوها من المتشابه مثل قوله « فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا » فان المراد فيما شربوا من الخمر قبل تحريمها .

عاشرتها : افهام ضعيفة تظن كثيراً من المتشابه وما هو منه ، وذلك افهام الباطنية وافهام الظاهرية كقوله تعالى « يوم يكشف عن ساق »

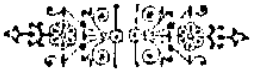

obeikandl.com

ترجمة القرآن

القرآن : هو اسم للفظ العربي المخصوص الدال على المعنى وقد اجمع على هذا أئمة المسلمين . وقال علماء الاصول في تعريف القرآن : هو اللفظ العربي المنزل للاعجاز المنقول الينا تواتراً . ويتضح من هذا ان اللفظ العربي الذي انزل على محمد ﷺ للاعجاز لابد منه في تحقيق القرآنية وان مجرد المعنى لا يسمى قرآناً ولا كلام الله .

والترجمة : هي الاتيان بكلام من لغة يؤدي مايؤديه كلام من لغة أخرى ويسد مسده فيما هو المقصود منه . وقيل هي تفسير الكلام بلسان آخر على وجه يستوفي كل القصود منه .

والترجمة اما ان تكون لفظية : وهي ابدال لفظ بلفظ آخر يرادفه في المعنى مع الاحتفاظ بما للمبدل منه من الدلائل القريبة والبعيدة ، والدلائل الاصلية والتبعية ، وبما له من مميزات وموسيقى وخفة على الاسماع وتأثير في القلوب . وهذه الترجمة مما ليست في استطاعة احد كما اجمع على ذلك العلماء ،

obeikandl.com

لان القرآن الكريم قد انزل قرآناً عربياً مبيناً معجزاً ولا تتسع أية لغة من اللغات لترجمته على هذا المنوال ، بل لا يمكن ان يعارض باللغة العربية نفسها : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » اذ القرآن الكريم له معان اصلية وهي مايستوي في فهمه كل من عرف مدلولات الالفاظ المفردة فيمكن لكل انسان عالم بذلك المعنى ان يؤديه بأية عبارة كانت . وله معان ثانوية — ويسميها علماء البلاغة بمستتبعات التراكيب — وهي خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام كالايجاز والاطناب والكناية والمجاز والتقديم والتأخير الى غير ذلك . واذا كان للقرآن الكريم معان اصلية وأخرى تابعة وهي مظهر بلاغته واملاك اعجازه ، فان ترجمته بالنظر الى المعاني الثانوية مستحيلة ، وحينئذ لا يمكن ترجمة القرآن ترجمة تؤدي المعاني التي بها الاعجاز ولاسيما البلاغة منه . وان اللغات الراقية وان كان لها بلاغة فان لكل لغة خواصها لا يشاركها غيرها فيها ، فالمترجم ان عول على نقل مافي الاصل

من الخواص فانه لاتتأدى له البلاغة المطلوبة الا اذا تشاركت اللفتان فى الخواص بعينها وهـــذا غير حاصل ولا يمكن بحال من الاحوال ان يصل الى درجة الاعجاز مهما ارتقت درجته فى البلاغة . واذا انتفى الاعجاز عنه بالترجمة انتفت قرآنيته ، كما انتفى ان تقوم الترجمة مقام الاصل فى الاحكام .

وقد تكون الترجمة تفسيرية : وهي الاتيان بما يفهم منه المعنى المشتمل عليه الـكلام الاول وان لم يكن مستوفياً لـكل مايقصد منه ، وقيل هي التعبير عن كلام المفسرين بـكلام آخر من لغة أخرى ، وهذه هي محل الجواز اذا اقتصرت الترجمة على التفسير وحده دون تناول كلام الله تعالى . وهي كترجمة كتاب من كتب التفسير المعروفة أو كتفسير القرآن بلغة غير عربية . وهذه جديرة بان تسمى تفسير القرآن بغير لغته .

وقد اجمع العلماء على منع ترجمة القرآن لان ذلك غير ممكن قال ابن تيمية الحنبلي فى الرسالة السبعينية : وأما الاتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ القرآن فهـــذا غير ممكن أصلا ، ولهذا قال أئمة الدين : على انه لايجوز ان يقرأ بغير العربية

لا مع القدرة ولا مع العجز عنها لان ذلك يخرجه عن ان يكون هو القرآن المنزل .

وقال الامام الغزالي الشافعي في كتابه الجام العوام : لايجوز النطق إلا باللفظ الوارد ، لان من الالفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها ، ومنها مايوجد لها فارسية تطابقها لكن ماجرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها ، ومنها مايكون مشتركا في العربية ولا يكون مشتركا في الفارسية .

وقال ابو بكر العربي المالكي في كتابه احكام القرآن في تفسير قوله تعالى « ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي » قال علماؤنا — اي المالكية — هذا يبطل قول ابي حنيفة رضي الله عنه . ان ترجمة القرآن بابدال اللغة العربية منه بالفارسية جائز ، لان الله تعالى قال « ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لو لا فصلت آياته أأعجمي وعربي » نفى ان يكون للعجمة اليه طريق ، فكيف يصرف الى مانفى الله عنه ، ثم قال : ان التبيان والاعجاز انما يكون بلغة العرب ، فلو قلب

الى غير هذا لما كان قرآناً ولا بياناً ولا اقتضى اعجازاً .

وقال الزركشي الشافعي في البحر المحيط : لايجوز ترجمة القرآن بالفارسية ولا بغيرها بل تجب قراءته على الهيئة التي يتعلق بها الاعجاز لتقصير الترجمة عنه ولتقصير غيره من الالسن عن البيان الذي خص به دون سائر الالسن .

وجاء في المجموع للشافعية : أما الفاتحة وغيرها من القرآن فلا يجوز ترجمته بالعجمة بلا خلاف لانه يذهب الاعجاز . وقال : ومذهبنا — اي الشافعية — انه لايجوز قراءة القرآن بغير لسان العرب سواء امكنته العربية أم عجز عنها وسواء أكان في الصلاة أم في غيرها ، فان اتى بترجمته في صلاة بدلا عنها لا تصح صلاته سواء احسن القراءة أم لا ، وبه قال جماهير العلماء منهم مالك واحمد وداود .

وقال السيوطي الشافعي في الاتقان : لاتجوز قراءة القرآن بالمعنى لان جبريل أداه باللفظ ولم يبح له ايحاؤه بالمعنى .

وقال الدسوقي المالكي في حاشيته على شرح الدردير : لايجوز قراءة القرآن بغير العربية بل لايجوز التكبير في الصلاة

بغيرها ولا بمرادفـــه من العربية فان عجز عن النطق بالتكبير بالعربية سقط عنه ، وان عجز عن النطق بالفاتحة بالعربية وجب عليه ان يأتم بمن يحسنها ، فان امكنه الائتمام ولم يأتم بطلت صلاته ، وان لم يجد اماماً سقطت عنه الفاتحة وذكر الله تعالى وسبحه بالعربية :

وقال الشيخ مخلوف المالكي في رسالته : ومذهب المالكية انه لا تجوز قراءة القرآن وكتابته بغير العربية .

وفي كشف القناع للحنابلة : فان لم يحسن قرآناً ولا آية حرم ترجمته أي تعبيره عنه بلغة أخرى ، لان الترجمة عنه تفسير لا قرآن ، ولا تصح الصلاة بقراءة تخرج عن مصحف عثمان .

وفي شرح المنتهى للحنابلة : ولا يترجم عن ذكر مستحب بغير العربية ولو عجز عنها لانه غير محتاج اليه فان فعل أي ترجم عن ذكر مستحب بطلت صلاته .

وفي الفتاوى الغياثية للحنفية : لو اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد ان يكتب المصحف بها منع من ذلك أشد المنع لما فيه من الفتنة العظيمة .

وقال ابو بكر محمد بن الفضل البخاري الحنفي : من تعمد قراءة القرآن أو كتابته بالفارسية فهو مجنون أو زنديق والمجنون يداوى والزنديق يقتل .

وفي الاسرار على شرح المنار للحنفية : لو كتب مصحفاً بالفارسية أو واظب على القراءة بها يمنع منه . وينسب الى الزندقة أو الجنون .

وقال الزيلعي الحنفي في شرحه على الكنز : الصحيح ان القرآن هو النظم والمعنى جميعاً عنده — أي ابي حنيفة — لانه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والاعجاز وقع بهما جميعاً إلا انه لم يجعل النظم ركناً لازماً في حق جواز الصلاة خاصة لانها ليست مجال الاعجاز : فقوله خاصة يدل على ان الخلاف انما هو في الصلاة فقط أما غيرها فلا خلاف .

وفي حواشي المنار للحنفية : اسقط ابو حنيفة فرض النظم في حق الصلاة خاصة رخصة في قول ، وروي رجوعه الى قولهما وعليه الاعتماد لانها ليست حالة اعجاز حتى لو كتب بالفارسية أو واظب على القراءة بها يمنع وينسب الى الزندقة والجنون .

وقال الشيخ محمد بخيت الحنفي مفتي الديار المصرية في رسالته (حجة الله على خليقته) : ان كانت الترجمة ابدال لفظ مكان لفظ من القرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ المنقول تواتراً لم يكن قرآناً بل هو تبديل للقرآن والتبديل لايجوز بالاجماع لا كتابة ولا قراءة ولو كان بألفاظ عربية أو بخط غير خط المصحف العثماني . ثم قال : واذا كان الاجماع منعقداً على منع الكتابة بغير الالفاظ العربية المنزلة ولو كانت الكتابة بالعربية بالفاظ أخرى فكتابته بأي لغة من اللغات غير العربية كالتركية مثلا أولى وأحق بالمنع . ثم قال : وبذلك بطل تشديق الملحدين فى هذا العصر من قولهم انه يجوز كتابة القرآن أو قراءته في غير الصلاة مطلقاً مع العجز بغير اللغة العربية التي بها نزل القرآن كالانكليزية أو التركية أو اللاتينية ونحو ذلك مما الحدوا به في هذا الزمن . الى ان قال : ومن زعم ان كتابته بالعجمة فيها سهولة للتعليم فهو كذب مخالف للواقع والمشاهدة فلا يلتفت اليه ، ولو سلم صدقه لم يكن مبيحاً لاخراج الفاظ القرآن عما كتبت عليه وأجمع عليه السلف والخلف .

وقال الشيخ محمد شاكر وكيل الجامع الازهر في رسالته (القول الفصل) : فالحق الذي لامحيص عنه انه لايحل الاقدام على ترجمة القرآن الكريم الى غير العربية ، كما لا يحل الاقدام على تبديل أية كلمة من كلماته الشريفة بما يرادفها من العربية ولا على نقل اية كلمة او آية من موضعها الى موضع آخر من آياته وسوره . وقال : هل نحن في حل من التعويل على الموازنة المعنوية في القرآن الكريم اذا نحن اردنا ان نغير عبارة باخرى من نظمه الشريف من اللغة نفسها ام لسنا في حل من ذلك مهما بالغنا في المحافظة على تلك الموازنة المعنوية ، والواقع اننا اذا تتبعنا آراء المسلمين منذ بعث الله محمداً ﷺ الى هذا العهد عهد التجدد والانتقال فاننا لانجد من بين هؤلاء رجلا واحداً يتردد في جواب على هذا التساؤل بالسلب البات والتحريم القاطع . الى ان قال : ومتى كان هذا النوع من باب التعبير بعبارة اخرى من اللغة نفسها محظورا الى هذا الحد في القرآن الكريم باجماع المسلمين فاولى ثم اولى ان يكون محظورا اشد الحظر في باب التفسير الذي يتناول جميع الكلمات من نظمه

الشريف في الترجمة من اللغة العربية الى غيرها من اللغات . ثم قال : فانا لنعلن على رؤوس الاشهاد ان ترجمة القرآن الكريم الى الاعجمية حرام باجماع الفقهاء وأئمة الدين المجتهدين ، وان قراءة القرآن بغير اللغة العربية حرام باجماع الفقهاء وأئمة الدين المجتهدين ، وان تداول هذه التراجم في اقطار المعمورة بين من يحسن العربية ومن لايحسنها حرام باجماع الفقهاء وائمة الدين المجتهدين

وقال العلامة زادة في شرح الجزرية : اذا لم يقرأ القرآن على الوجه الذي نزل به يكون مخالفا لله ولرسوله والمخالف لله ولرسوله عاص والعاصي آثم والآثم معاقب وكل ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه حرام

وجاء في صحيح ابن خزيمة ان رسول الله ﷺ قال : ان الله يحب ان يقرأ القرآن كما انزل .

حكم القراءة في الصلاة بغير العربية

وقد وقع خلاف بين الأئمة في القراءة في الصلاة بالفاظ غير عربية يعبر بها عن طائفة من معاني القرآن الكريم ، فقد اجمع الأئمة الثلاثة ـ الشافعي ومالك واحمد ـ على انه اذا قرأ المصلي بغير العربية سواء كان قادرا على القراءة بالعربية او غير قادر فسدت صلاته لان المقروء ليس بقرآن لعدم اللفظ العربي كما انه من جنس كلام البشر لذلك تفسد صلاته .

قال السرخسي في كتابه المبسوط : وعند الشافعي لاتجوز القراءة بالفارسية باي حال ، ودليله ان الفارسية غير القرآن والله تعالى يقول (انا جعلناه قرآنا عربيا) ، والواجب قراءة القرآن فـــلا يتأدى بغيره بالفارسية لان الفارسية من كلام الناس فتفسد صلاته .

وجاء في المغني للحنابلة : من كانت لغته غير العربية لم يجز له ان يقرأ بها ، ومن قرأ بغير العربية فلا صلاة له .

وقال النيسابوري : قال الشافعي ترجمة القرآن لاتكفي

لصحة الصلاة في حق من يحسن القراءة بالعربية ولا في حق من لايحسنها لانه عليه الصلاة والسلام والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرؤا في الصلاة الا هذا القرآن العربي فوجب علينا اتباعهم . وقال : وكيف يجوز عاقل قيام الترجمة باي لغة كانت وهي كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر

وقال ابن المنذر : لاتجزى القراءة بالفارسية في الصلاة لانه خلاف ما أمر الله به وخلاف ما علم النبي ﷺ (بمثل قوله : صلوا كما رأيتموني اصلي) وخلاف جماعات المسلمين

وفي المجموع للشافعية : ان مذهب الشافعية وجماهير العلماء منهم مالك واحمد وداود انه لاتجوز القراءة بغير لسان العرب مطلقا سواء أكان في الصلاة أم في غيرها ، وسواء أكان عاجزاً عن العربية ام لا ، ولو قرأ الفاتحة بلغة لبعض العرب غير اللغة المقروء بها او قرأ بترجمتها في صلاته لم تصح صلاته

وقام ابن حزم في كتابه المحلى : من قرأ ام القرآن او شيئا منها او شيئا من القرآن فى صلاته مترجما بغير العربية او

بالفاظ عربية غير الالفاظ التي انزل الله تعالى عامداً لذلك أو قدم كلمة او اخرها عامداً لذلك بطلت صلاته وهو فاسق لان الله تعالى قال (قرآنا عربيا) وغير العربي ليس عربيا فليس قرانا ، واحالة عربية القرآن تحريف لـكلام الله تعالى، وقد ذم الله تعالى قوماً فعلوا ذلك فقال (يحرفون الـكلم عن مواضعه) ومن كان لايحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته لقول الله تعالى (لايكلف الله نفسا الا وسعها) ولا يحل له ان يقرأ أم القرآن ولا شيئا من القرآن مترجما على انه الذي افترض عليه ان يقرأه لانه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا فيكون مفتريا على الله تعالى

وفى العينى وفتح الباري عند شرح الحديث الشريف : اذا قمت الى الصلاة فـكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن . قال ابن عياض : فى هذا الحديث حجة على من اجاز القراءة بالفارسية لـكون ما ليس بلسان العرب لايسمى قرآنا

وقال النووى فى شرح مسلم : تحرم قراءة الفاتحة بالعجمة ولا تصح الصلاة بها سواء أعرف العربية ام لا

وفي حاشية ترشيح المستفيدين : من جهل الفاتحة لايجوز له ان يترجم عنهـــا لقوله تعالى (انا انزلناه قرآنا عربيا) والعجمي ليس كذلك وللتعبد بالفاظ القرآن

وقد ذكر الحنفية ان ابا حنيفة رضي الله عنه كان يقول أولا : اذا قرأ المصلي بغير العربيةمع قدرته عليها اكتفى بتلك القراءة . ثم رجع عن ذلك وقال : من كان قادراً على العربية ففرضه قراءة النظم العربي ولو قرأ بغيرها فسدت صلاته لخلوها عن القراءة مع قدرته عليها والاتيان بما هو من جنس كلام الناس حيث لم يكن المقروء قرآنا . وذكر هذا الرجوع نوح بن ابي مريم وهو من اصحاب ابي حنيفة اخـــذ الفقه عنه ، وروى رجوع الامام ايضاً علي بن الجعد وهو من اصحاب ابي يوسف،ورواه ايضاً الجصاص وهو امام الحنفية في وقته. اما العاجز فهو عندهم كالاميفي انه لاقراءة عليه ،وان المؤدى بلغة اخرى ان كان قصة فسدت صلاته لانه متكلم بكلام غير قرآن وليس ذكراً ، وان كان ذكراً لاتفسد لان الذكر باي لسان لايفسد الصلاة

وقال صاحب البحر المحيط: والذين لم يطلعوا على الرجوع من اصحابه — اي اصحاب ابى حنيفة — قالوا أراد به عند الضرورة والعجز عن القرآن ، فان لم يكن كذلك امتنع وحكم بزندقة فاعله، وليس الالحاد ممن قدر أن يقرأ فى الصلاة بالعربية فعدل عنها الى الاعجمية ببعيد

ولنختم هذه الكلمة بملخص مقال للاستاذ الشيخ محمد سليمان رحمه الله تعالى عنوانه « ترجمة القرآن مضيعة له » قال:

القران روح ، والروح لايترجم ، وانظر ان شئت الى صورة الحي ذي الروح ، هل تراها تتحرك او تقوم مقامه او تغنى غناءه ؟. قال تعالى : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمؤمنين » وقال « وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان » . ولهذه الروحانية التي فى القرآن نرى الذين يسمعونه يحسونها ويخشعون لها ،وهذا ما جاء فى القرآن عنها . قال تعالى : « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم

وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد »

والقرآن نور ، والنور لا يترجم ، واملأ الليل بما شئت من انوار الكهرباء ، فهي لا تغني عن نور النهار ، ولا تقوم مقام الشمس ، ولا تؤدي وظيفة الشمس ، ففوق ما في الشمس من ضياء فيها الحرارة التي يكون بها النماء ، وفي الحرارة سر الحياة وسحر السر ، وهذه آيات نوره . قال تعالى : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبيناً » وقال: « ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا » ، فهذا النور الذي انزله الله على محمد هو الذي بعثه ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، أي الى القرآن وهداية القرآن .

القرآن عربي وسره في عربيته ، وأبى الله الا ان يكون عربياً وان يسمع بنظمه العربي ، وأن يؤثر بتلاوته العربية ، ويتذكر به السامع ، ويصحو على جرسه الغافل . قال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » وقال « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون »

ولم تقتصر آيات القرآن على عربيته ، وتأثيره بعربيته ، وارادة صاحبه ان يمضي بأثره في العالم عربياً ، وانما رفض أيضاً أن يكون اعجمياً ، أو ينزله اعجمياً ، أو يبدله اعجمياً ، فقال « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » وقال « ولو انزلناه على بعض الأعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين » وقال « ولو جعلناه قرآناً اعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد » . وقد رفض في قدرة ، وأبى عن حكمة أن تبدل كلماته ، وان يطاع اكثر من في الارض بتبديلها كما يظن الظانون في أمر ترجمته فقال « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم »

القصص في القرآن

اشتمل القرآن الحكيم على جملة من القصص المتعلقة بالتاريخ الماضي من اخبار الأمم والأقوام السالفة ، وبعض ما جرى للرسول من الوقائع في مكة والمدينة وذلك عبرة وذكرى وشفاء لما في الصدور من الزيغ والضلال ، وارشاد الناس الى أحكام الله لتقويم البشر وتهذيب نفوسهم واصلاح معادهم ومعاشهم .

وقد وردت بعض تلك القصص مكررة ومجملة مفصلة باساليب متغايرة او صور متقاربة ، ولكل منها مغزى لا يؤديه غيره ومرمى لا يصيبه سواه .

وانما جاءت تلك القصص في القرآن الكريم لحكم كثيرة منها :

١ — ان هذه القصص حجة قاطعة على نبوة سيدنا محمد ﷺ وانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى حيث أخبر عما جرى للامم الماضية من الحوادث والوقائع مع انه

أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يخالط احداً من الذين يعلمون عن تلك القصص شيئاً . قال تعالى « تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين »

٢ — تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتسليته بما جرى لاخوانه من الانبياء والمرسلين ، وتبشيره بالعاقبة تسكيناً لباله ، فلا يبالي بما قاساه من اضطهاد قومه له ، فذكره بما اصاب الانبياء والمرسلين قبله من اضطهاد وايذاء وسخرية وبما لحقهم من قتل وتشريد وهجرة . قال تعالى « قد نعلم انه ليحزنك الذين لا يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وقد بين له تعالى فى كثير من الآيات ان العاقبة له وان الانتصار حليفه فى معرض تلك القصص .

٣ — اتعاظ الامة واعتبارها باحوال الامم الماضية وما كانت عليه من ضعف وقوة وتصديق وتكذيب وجد وكسل ،

وما أصابها بسبب ذلك من ذل وعز وسيادة وعبودية ورفاه وضنك ليتدبر المسلمون ذلك كله وليعلموا ان تلك الأمم لم تنزل بها المصائب والاهوال ولم تذل وتخضع لغيرها الا لانحرافها عن الصراط السوي وانحدارها الى حضيض الشهوات وعصيانها اوامر الله ورسله . قال تعالى بعد ذكر الذي آتاه الله آياته فانسلخ عنها « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » وقوله تعالى « وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار »

وليعلم المسلمون ايضاً ان الأمم لا تستحق السيادة والاستخلاف في الارض الا اذا كانت صالحة عاملة عالمة عادلة سخية مستبسلة مضحية في سبيل دينها وبلادها بالنفس والمال ، وان نصر الأمة وانقاذها من مخالب الأمم القوية لايكون الا بالايمان الكامل، واتقاء اسباب الخذلان من تفرق وتنازع وتخاذل وقنوط « وقال موسى لقومه استعينوا بالله

واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

وبين تعالى ان اسباب هلاك الامم هو ظلمها : « وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا » .

وبين تعالى ان انتشار المعاصي والشهوات والترف وانكار آيات الله سبب الهلاك والدمار « أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة واثاراً في الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق »

وبين تعالى انه يبتلي الامم بالبأساء والضراء وبالسراء والرخاء ليكون ذلك درساً من دروس التربية الاجتماعية وحافزاً لطرق سبل الخير والفلاح : « وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون »

٤ — معرفة النظام التشريعي وتطوره ، وان قسما من

النظم التي كانت مشروعة للامم الماضية قد جعلها الله تعالى شرعاً لنا مثل القصاص فانه ورد في شريعة موسى عليه السلام « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص » وقد أقره الله تعالى في الشرع الاسلامي وجعله نظاماً من انظمته القضائية .

وكذا تحريم القتل فانه كان محرماً في شريعة آدم عليه السلام : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين »

وقد ذكر القرآن بعض ما كان من نظام الامم الماضية وجاء ناسخاً لها مثل قوله تعالى « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم » فان هذا قد كان محرماً فى شريعة موسى عليه السلام . وكذا ما كان من سنة

آل يعقوب فى حكم السارق وهو شريعة ابراهيم عليه السلام ان يسلم السارق الى المسروق منه فيسترقه سنة وذلك كقول اخوة يوسف : « جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه »

٥ — معرفة ما ابتدعه البشر من الانظمة مما لم يأذن به الله ، كجعل المشركين نصيباً من زروعهم وانعامهم لله تعالى ونصيباً آخر لأوثانهم ، فما كان لله صرفوه الى ضيوفهم وفقرائهم ، وما كان لأصنامهم انفقوه عليها ، كما انهم كانوا يقتلون اولادهم من املاق وغير ذلك مما اخترعوه ، ويحرمون نساءهم مما احله الله لهن ويجعلونه للرجال دونهن . قال تعالى « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون. وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون . وقالوا هـذه انعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لايذكرون اسم الله عليها

افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم »

٦ — معرفة صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما طبعت عليه من مكارم الاخلاق ومسالكهم فى اقناع أممهم وطرق جدالهم ، وتفنيد شبه الاعداء والمعاندين وما ارتكبته تلك الامم من الجنايات والاعتداء على تعاليم اولئك الانبياء والرسل ، وكيف انهم مسخوا الكتب السماوية وادخلوا عليها التحريف والحذف والزيادة بحسب شهواتهم واهوائهم وميولهم .

هذا قبس من نور تلك القصص القرآنية وما اشتملت عليه من عبر وعظات ليتدبرها المسلمون ، ولو اردنا استقصاء ما انطوت عليه تلك القصص من مواعظ وارشادات لاحتجنا الى شيء كثير من الصفحات بل المجلدات .

الامثال في القرآن

المثل في اللغة بمعنى المثل والمثيل كشبه وشبيه وهو النظير، ويجمع مثل على امثال . قال اليزيدي : الامثال الاشباه ، واصل المثل الوصف هذا مثل كذا أي وصفه مساو لوصف الآخر بوجه من الوجوه . والمثل : القول السائر الذي فيه غرابة من بعض الوجوه والذي يمثل مضربه بموردة وحيث لم يكن ذلك قولا بديعاً فيه غرابة صيرته جديراً بالتسيير في البلاد وخليقاً بالقبول فيما بين كل حاضر وباد ، استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيه . وقيل المثل : ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه فيه نوع الخفاء ليصير في الذهن مساوياً للاول في الظهور من وجه دون وجه . والمقصود من ذكر المثل انه يؤثر في القلوب مالا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، لان الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته

ويصير الحس مطابقاً للعقل . ويضرب المثل لابراز خبيئات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب فى صورة المشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الابي ، ولأمر ما اكثر الله تعالى فى كتابه المبين وفي سائر كتبه من ضرب الامثال لان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه ، واقوى وسيلة الى تفهم الجاهل الغبي ، وقمع سورة الجامح الشامس لانه يرفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية ويبرزها فى معرض المحسنات الجلية ، وهو ابداء للمنكر فى صورة المعروف واظهار للحوشي فى هيئة المألوف . ولما كان المراد بالمثل بيان الاحوال كان قصة وحكاية . واختير له لفظ الضرب لانه يأتي عند ارادة التأثير وهيج الانفعال كأن ضارب المثل يقرع به اذن السامع قرعاً ينفذ الى قلبه وينتهي الى اعماق نفسه .

قال الشيخ محمد الخضر حسين :

يصور المثل الحقائق فى اجلى صورة ، ويريك المعاني

الكثيرة فى الكلمات القليلة ، فاذا اردت ان تصف رجلا بالدهاء وجودة الرأي ، والاخذ فى تدبير الامور بانجح الطرق ، ورمت ان تعبر عن هذا المعنى بلفظ موجز ينقشه فى نفس المخاطب حتى كأن يراه رأي العين ، ضربت فيه المثل : « يعرف من اين تؤكل الكتف »

واذا سمعت كلاماً كثيراً لانجني منه فائدة ، واردت ان تصفه بكلمة يخف وقعها فى الاذن وتضع ذلك المعنى موضع المشاهد ، ضربت فيه المثل : « اسمع جعجعة ولا أرى طحناً »

يحسن ضرب المثل حيث يكون سبب وروده معروفاً للمخاطبين . وكثير من الامثال لايفهم منها معنى وان كانت الفاظها واضحة الدلالة على معانيها المفردة ، فالمثل : « ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر » مفرداته واضحة المعاني ، وليس فى تركيبه حذف ، ولا لفظ يتوقف فهمه على كلام يسبقه أو يأتي من بعده ، ولو سقته فى الحديث مع من لا يعرف مورده لم تصل به الى الغرض الذي تستعمل من اجله الامثال ، وهو ابراز المعنى فى صورة مألوفة تتلقاها النفوس

بارتياح وانما يفي هذا المثل بالغرض ، ويقع المعنى المقصود في نفس المخاطب موضع الجلي الواضح متى عرف « ان بني ثعلبة ابن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة اربع عشرة من الشهر ، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى ، وقالت طائفة : يغيب القمر قبل ان تطلع الشمس ، فتراضوا برجل جعلوه حكما ، فقال واحد منهم : ان قومي يبغون علي ، فقال الحكم : « ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر »

قد يستعمل المثل على وجه الاستعارة ، كضربك المثل « الصيف ضيعت اللبن » في حق من كان متمكناً من أمر فاضاعه من يده ، ثم جاء يطلبه بعد فوانه ، فانك شبهت حال هذا الرجل بمورد المثل ، وهو حال المرأة التي كانت تحت شيخ موسر فسألته الطلاق فطلقها زمن الصيف ، فتزوجت شاباً فقيراً ، فلما دخل الشتاء ارسلت الى الشيخ تستسقيه لبناً ، فقال لها « الصيف ضيعت اللبن » واستعرت هذا المثل الى حال الرجل الذي اضاع امراً كان طوع يده ، ثم رغب في مناله .

واستعمال الامثال على هذا الوجه هو الذى تحدث عنه البيانيون فقالوا : متى فشا استعمال المجاز المركب سمي « مثلا » .

وقد يستعمل المثل على وجه التشبيه الصريح ، كأن تذكر شخصاً تريد ان تصفه بأنه يشتهى قربه ، ويخاف شره فتقول : هو « كالخمر يشتهى شربها ، ويخاف صداعها »

وقد يستعمل على وجه الحقيقة المحضة ، كأن ترى شخصاً اعتبر في بعض الامور بما وقع فيه غيره من عاقبة مكروهة فأخذ حذره من ذلك الامر ، فتقول : « السعيد من اتعظ بغيره » فليس في ضرب هذا المثل استعارة ولا تشبيه .

يلزم في المثل ان يكون قولا موجزاً شائعاً ، وقد يكون حكمة ، أي كلاماً ينهي عن سفه ، او يدعو الى خير ، نحو : « ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقى » وهو مثل يضرب لمن يجهد نفسه في طلب الشيء ، ويبالغ في الطلب حتى انه ربما يدركه التعب أو الملل ، فينقطع دون البلوغ الى الغاية .

وقد يكون خالياً من الحكمة بالمعنى المشار اليه ، ولكنه

يدل على معنى مقبول ، كالامثال الصالحة للاعتذار ، نحو : « مكره أخاك لا بطل » .

والحكمة التي تؤدي مايؤديه المثـــل إلا انها لم تشع في الجمهور ، ولم تجر إلا بين الخواص ، يسميها بعض الادباء بالنادرة .

ومن الامثال مايكون كلاماً مستقلا بنفسه ، نحو : « حبك الشيء يعمي ويصم » ونحو : « رب أخ لك لم تلده امك » . وقد يكون مقتطعاً من كلام ، نحو : « ان المقدرة تذهب الحفيظة » قال ابو عبيد : بلغنا هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر كان يطلب رجلا بثأر فلما ظفر به قال : لولا ان المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك ثم تركه . والى هذين الضربين من الامثال اشار المرزوقي في كتاب الفصيح فقال : المثل جملة من القول مقتضبة من اصلها أو مرسلة بذاتها ، فتتسم بالقبول ، وتشتهر بالتداول .

قال الجرجاني في كتابه (اسرار البلاغة) :

واعلم ان مما اتفق العقلاء عليـــه ان التمثيل اذا جاء في

اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها ابهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من اقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من اقاصي الافئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغافاً فان كان مدحاً كان ابهى وافخم ، وانبل في النفوس واعظم ، وأهز للعطف ، وأسرع للالف ، واجلب للفرح ، واغلب على الممتدح ، واوجب شفاعـــة للمادح ، واقضى له بغرر المواهب والمنائح ، وأسير على الالسن واذكر ، وأولى بان تعلقه القلوب واجدر ، وان كان ذماً كان مسه اوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشد ، وحده احد ، وان كان حجاجاً كان برهانه أنور ، وسلطانه اقهر ، وبيانه ابهر ، وان كان افتخاراً كان شأوه أبعد ، وشرفه أجد ، ولسانه ألد ، وان كان اعتذاراً كان الى القبول اقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسخائم أسل ، ولغرب الغضب أقل ، وفي عقد العقود أنفث وعلى حسن الرجوع أبعث ، وان كان وعظاً كان اشفى

المصدر ، وادعى الى الفكر ، وابلغ في التنبيه والزجر ، واجدر بان يجلي الغيابة ، ويبصر الغاية ، ويبريء العليـــل ، ويشفي الغليل . الخ

وان الامثال التي وردت في القرآن الكريم ترمي الى مغازى ومرامى كثيرة ، منها : التذكير ، والوعظ ، والحث والزجر والاعتبار والتقرير والتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس والمدح ، والذم والثواب والعقاب ، وتفخيم الامر وتحقيره ، وتحقيق امر وابطاله ، قال ﷺ : ان القرآن نزل على خمسة أوجـــه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال .

قال الماوردي : من اعظم علم القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام .

وقال السيوطي فى اتقانه ما ملخصه : امثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيـــه . فمن

امثلة الاول قوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً . الآيات » ضرب فيها للمنافقين مثلين، مثلا بالنار ، ومثلا بالمطر قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه وتركهم في ظلمات ، يقول في عذاب ، او كصيب هو المطر ضرب مثله في القرآن فيـــه ظلمات يقول ابتلاء ورعد وبرق تخويف ، يكاد البرق يخطف ابصارهم، يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ، كلما اضاء لهم مشوا فيه ، يقول كلما اصاب المنافقون في الاسلام عزاً اطمأنوا فان اصاب الاسلام نكبة قاموا فأبوا ليرجعوا الى الكفر . كقوله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف . الآية » ومنها قوله تعالى « انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها . الآية » قال ابن عباس : هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قـــدر يقينها وشكها ، فاما الزبد فيـــذهب جفاء وهو الشك واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض وهو اليقين كما يجعل الحلي في النار

فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك، وقال قتادة : ومنها قوله تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب، كما ان البلد الطيب ثمره طيب . والذي خبث ضرب مثلا للكافر كالبلد السبخة الماحلة، والكافر هو الخبيث وعمله خبيث

ومنها قوله تعالى « أيود أحدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب » قال ابن عباس : ضربت لرجل غني عمل بطاعة الله ثم بعث الله له شيطاناً فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله .

واما الامثلة الكامنة التي لا ذكر للمثل فيها : فقد سأل مضارب بن ابراهيم الحسن بن الفضل بقوله : انك تخرج امثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله (خير الامور اوساطها) قال نعم في اربعة مواضع قوله تعالى « لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك » وقوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقوله

تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) .

وسأله هل تجد في كتاب الله « من جهل شيئاً عاداه » قال نعم في موضعين « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه » « واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم »

وسأله عن « احذر شر من احسنت اليه » فقال « وما نقموا إلا ان اغناهم الله ورسوله من فضله » وعن « ليس الخبر كالعيان » فقال « أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » وعن « في الحركات بركات » فقال « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيراً وسعة » وعن « كما تدين تدان » فقال « من يعمل سوء يجز به » . وعن « حين تبلي تدري » فقال « وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا » وعن « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » فقال (هل آمنكم عليه إلا كما امنتكم على اخيه من قبل) وعن (من اعان ظالماً سلط الله عليه) (كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) وعن

(لا تلد الحية إلا حيية)فقال (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) وعن (للحيطان آذان) فقال (وفيكم سماعون لهم) وعن (الجاهل مرزوق والعالم محروم) فقال (من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً) وعن (الحلال لا يأتيك إلا قوتاً والحرام لا يأتيك إلا جزافاً) فقال (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم)

وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم جارية مجرى المثل . مثل قوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة) و (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) و(الآن حصحص الحق) و(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) و (ذلك بما قدمت يداك) و (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) و (أليس الصبح بقريب) و (حيل بينهم وبين ما يشتهون) و (لكل نبأ مستقر) و (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) و (قل كل يعمل على شاكلته) و (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) و (كل نفس بما كسبت رهينة) و (وما على الرسول إلا البلاغ) و (ما على المحسنين من سبيل) و (هل جزاء

الاحسان إلا الاحسان) و (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) و (الآن وقد عصيت قبل) و (وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) و (ولا ينبئك مثل خبير) و (كل حزب بما لديهم فرحون) و (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) و (وقليل من عبادي الشكور) و (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) و (لا يستوي الخبيث والطيب) و (ظهر الفساد في البر والبحر) و (ضعف الطالب والمطلوب) و (لمثل هذا فليعمل العاملون) و (قليل ماهم) و (فاعتبروا يا اولي الابصار)

obeikandl.com

فواتح السور

كثرت اقوال العلماء وتعددت آراؤهم في فواتح السور، وذلك لانه لم يرد عن النبي ﷺ ذكر معناها ، وقد كان علماء السلف يفوضون أمرها الى الله تعالى ويجعلونها من قبيل المتشابه الذي استأثر الله جل جلاله بعلمه

ولكن علماء التفسير واللغة قد ذكروا لها معاني وعللا كثيرة نأتي على اشهرها :

قال ابو علي محمد بن المستنير النحوي المشهور بقطرب : كان العرب ينفرون عند استماع القرآن ، فلما نزلت « الم . المص » استنكروا هذا اللفظ وتاقت نفوسهم الى تعرف ما يتلوه من الكلام وتفهم ماضمنه من المعاني والاغراض فاما انصتوا اقبل عليهم النبي بالقرآن المؤتلف ليثبته في اسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم اهـ . فعلى هذا يكون القرآن جاء بهذه الالفاظ ليستدرج العرب استدراجاً حتى يقبلوا عليه ويستمعوا له ، والمتتبع لأساليب كلام العرب يجد انهم قد

يأتون بالحرف او الاحرف لا لغرض سوى هذا التنبيه، وا كثر ما يستعمل هذا في مخاطبة الغافلين او الجاهلين المغرضين ، ومن هذا استعمال (ها) للتنبيه ، و (ها) في ايها ، و(ما) الزائدة في نحو (فبما رحمة من الله لنت لهم) ، فاذا سمع انسان هذه الحروف ولم يفقه لها معنى توجهت نفسه الى تعرف ما بعدها لعله يجد فيه ما يدله على ما اريد منها ، ومن هنا ينصرف بجميع قلبه الى مايتلوها لعله يهتدي بعد ان ذهب فيها كل مذهب ، فاذا سمعه وتدبره كان حقيقاً ان يهتدي بشيء من هديه ، ولولا ذلك لاعرض عنه ونأى بجانبه ، ولما كان لشيء من آياته سلطان على قلبه ولا اثر في نفسه

وقيل ان الله تعالى قد اقسم بهـذه الحروف لعظمة شأنها وشرف مكانها ، لأنهـا ابسط عناصر الـكلام ، وهو اجلى واسطة للتفاهم ، ثم هي ابسط عناصر الـكتابة ، وهذه اقوى اداة يستعين بها الانسان في حياته العلمية والعملية ، والكلام والـكتابة هما من ارقى ما يمتاز به النوع البشري . ومن هنا يتضح ان القسم بهذه الحروف بمثابة القسم باهم عناصر العلم ،

وشرفها معقود بشرف ما يتركب منها ، وما تقوم به من الوظائف ذات الشأن . وقد اقسم الله تعالى بالكتابة واخص ادواتها فقال : (ن والقلم وما يسطرون) وهل يسطرون إلا الحروف الدالة على الالفاظ الدالة على المعاني ، ومما يشير الى صحة هذا انه لم تفتتح سورة بشيء من هذه الحروف إلا جاء بعدها ذكر الكتاب او ما يشير اليه او ما يتعلق به ، فقد جاء في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة مفتتحة بهذه الحروف ، ثلاث منها غير مردوفة بذكر الكتاب او ما يتعلق به وهي : (مريم . والعنكبوت . والروم) والست والعشرون الباقية كلها مردوفة به او بما يشعر اليه ، كما تراه فى مفتتح (الم ذلك الكتاب . الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق . المص كتاب انزل اليك . الر تلك آيات الكتاب . طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى . طسم تلك آيات الكتاب . يس والقرآن الحكيم . ص والقرآن ذي الذكر . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ق والقرآن المجيد) وكذا البواقي ، ولا شك في ان الجمع بين هذه الحروف

والكتاب العزيز انما هو جمع بين ابسط عناصر القول واعلى مرتبة من مراتبه ، فهو جمع بين طرفي البداية والنهاية ، وفي هذا مافيه من تعظيم العلم بتعظيم آلته، ثم ان في ذلك تنبيهاً الى ان القرآن ليس إلا من هذه الحروف التي يتركب منها كلام العرب فعجزهم عن مساواته والاتيان بمثله بل بسورة من مثله دليل على كونه من عند الله لا من عند البشر

ثم ان من يستقري الحروف التي وردت في الفواتح يجد انها تشير الى طريقة تعليمية بديعة ، وذلك انهـــا نصف حروف المعجم التي اذا تعلم المرء كتابتها يصبح كأنه قد تعلم كتابة حروف المعجم باجمعها ، فمن عرف كتابة الصاد مثلا فقد عرف كتابة الضاد ، ومن عرف كتابة الطاء فقد عرف كتابة الظاء ، ومن عرف كتابة الحاء فقد عرف كتابة الجيم والخاء وقس على ذلك غيره .

ثم ان هذه الحروف الاربعة عشر انصاف انواع الحروف الهجائية ، ففيها نصف المهموسة (ص . ك . ه . س . ح) ، ونصف المجهورة (ا . ل م . ر . ع . ط . ق . ي . ن) ،

ونصف الشديدة (ا . ك . ط . ق ،) ونصف الرخوة (ل . م . ر . ص . ه . ع . س . ح . ن . ي) ، ونصف المطبقة (ص . ط) ، ونصف المنفتحة (ا . ل . م . ر . ك . ه . ع . س . ح . ق . ن . ي .) ، ونصف المستعلية (ق ص ط) ، ونصف المنخفضة (ا . ل . م . ر . ك . ه . ع . س . ح . ن . ي) ، ونصف القلقلة (ق . ط) . فيظهر من هذا ان من اتقن النطق بهذه الحروف معطياً كل حرف ما يستحقه من هذه الصفات فقد اتقن النصف الآخر الذي لم يرد في الفواتح ، فكأن الله تعالى اشار بهذا الى وضع اسلوب علمي مبتكر لتسهيل تعليم الكتابة والقراءة وتقريبهما من متناول الاميين ، وفي هذا ما فيه من الفوائد ولاسيما بعد ان علمنا ان القرآن نزل بين ظهراني امة امية ، وهل تعالج ادواء الأمية بانجع من امثال هذا الاسلوب التعليمي البديع .

قال الاستاذ الشيخ ابراهيم الجبالي في تفسير سورة لقمان عند قوله تعالى « الٓمٓ . تلك آيات الكتاب الحكيم » هذه اسماء للحروف التي تتركب منها الكلمات ، وقد اختلف

المفسرون في المراد منها في فواتح السور ، فقيل هي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه . وروي عن ابى بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : لكل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور . والحكمة في بدء السور بها وان لم يفهم المراد منها ان قرع السمع في اول الكلام بما يعيي النفوس فهمه دافع لها ان تلتفت وتصغي وتزيد يقظتها وتستقصي فى التأمل ، فيزداد بذلك انتفاعها بتفهم ما يلقى عليها ، وذلك ان النفوس مولعة بتتبع ما لم تفهمه ، والاستقصاء في البحث عنه ، فلا تزال تردد ذهنها فيه ، وكلما ازدادت تأملا ازدادت من فوائده استنباطاً وانتفاعاً ، والقرآن لا تنقضي عجائبه كما روى ذلك عن علي كرم الله وجهه ، وايضاً في احتواء القرآن على ما لم يفهم ، وهو معنى المتشابه في رأي الكثير اختبار للايمان بالغيب الذي امتدح الله عز وجل صاحبه ، فهو في الاقوال بمنزلة التكليف بما لم تعرف حكمته تفصيلا من الافعال كرمي الجمار في الحج يختبر به رسوخ الايمان في النفوس وقوة اعتقادها بحكمة الامر ، فهي تطيعه فيما فهمت حكمته وفيما لم تفهم ، وهي تؤمن

بان ما انزل الله على يد الصادق المصدق هو من عند الله سواء فيما فهمته وفيما لم تفهمه ، وهذا لا يكون الا حيث يرسخ الايمان بصدق المبلغ في النفس رسوخاً لا يزلزله تعاصى فهم بعض ما بلغ قياساً له على ما ملأها يقيناً وايماناً .

ومن حكمته ايضاً انه يوجه نفوس المعرضين الى الاستماع ، فيهجم عليهم مما يليه من آيات الكتاب الحكيم ما يملك عليهم حواسهم ، ويجذب الى الهدى نفوسهم ، فقد كانوا يقولون بعضهم لبعض : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، فاما انزلت السور المبدوءة بحروف الهجاء ، وقرع سمعهم ما لم يألفوا ، التفتوا واذا هم امام آيات بينات استهوت قلوبهم وجذبت اليها عقولهم ، فكان يؤمن من اراد الله له الايمان ، ويقترب من الايمان من شاء الله تأخيره الى اوان ، وتقوم الحجة في وجه اهل العناد والطغيان .

وقيل : بل المعنى المقصود منها معلوم ، وكونها من المتشابه لا يمنع ذلك ، فالمتشابه يعلمه الله والراسخون في العلم ، فان الوقف في آية آل عمران وهي قوله تعالى « وما يعلم

تأويله الا الله والراسخون في العلم » هو على قوله : « في العلم » قالوا والا كان القرآن مشتملا على ما لم يفهم معناه ، فلم يكن تبياناً وهدى ، ولم يكن بلسان عربي مبين ، ولم يصلح جميعه للتحدي به ، فانه لا يتأتى التحدي بما لم يفهم ؛ وعلى هذا قيل : انها اسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر اشتراك مسميات عدة في اسم واحد ، كما يسمى جماعة كل منهم بمحمد او عبد الله مثلا ، ويكون التمييز بينها باضافة كلمة اخرى نحو : ألمّ البقرة ، وألمّ آل عمران ، وألمّ لقمان ، وهكذا ، فطه ، وطس ، ويس ، وق ، ون ، كلها اسماء للسور المبدوءة بها ، ولا يضر ان تسمى السورة باول كلمة منها لتعرف به وقيل : بل هي أسماء للحروف التي يدل عليها التهجي وانما ذكرت لبيان ان ما سيتلى عليهم ويعجزون عن معارضته هو مؤلف مما تناله قدرهم ويدور دائماً على السنتهم ، فلا تعاصي في مادته على أحد منهم ، فاذا عجزوا عن تأليف هذه المادة الميسورة تأليفاً يضاهي ما انزل اليهم وقد زعموا انهم امراء الكلام وفرسان البيان تمت عليهم الحجة بانه ليس من

تأليف البشر ، ووجب ان يعترفوا بانه من عند الله الحكيم العليم . وقيل : بل اشارة الى اسماء وصفات ، فالالف اشارة الى لفظ الجلالة (الله) ، واللام اشارة الى اسمه تعالى (لطيف) ، والميم اشارة الى اسمه تعالى (الملك) او الالف اشارة الى الله ، واللام اشارة الى جبريل ، والميم اشارة الى محمد ، وكأن المعنى : الله نزل جبريل بالوحي الى محمد .

وقال الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره لسورة آل عمران :

فاعلم ان القرآن كتاب سماوي والكتب السماوية تصرح تارة وترمز أخرى، والرمز والاشارة من المقاصد السامية والمعاني العالية والمغازي الشريفة ، وقديماً كان ذلك في اهل الديانات ، ألم تر الى اليهود الذين هم كانوا منتشرين في المدينة وفي بلاد الشرق ايام النبوة كيف كانوا يصطلحون فيما بينهم على اعداد الجمل المعروفة اليوم في الحروف العربية فيجعلون الالف بواحد والباء باثنين والجيم بثلاثة والدال باربعة وهكذا مارين على الحروف الابجدية الى الياء بعشرة

والكاف بعشرين وهكذا الى القاف بمائة والراء بمائتين وهكذا الى الغين بالف كما ستراه في هذا المقام ، كذلك ترى ان النصارى في اسكندرية ومصر وبلاد الروم وفي سوريا قد اتخذوا الحروف رموزاً دينية معروفة فيما بينهم ايام نزول القرآن وكانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في مصر ، وكانوا يرمزون بلفظ (اكسيس) لهذه الجملة ، يسوع المسيح ابن الله المخلص ، فالالف من اكسيس هي الحرف الاول من لفظ (ايسوس) يسوع ، والكاف منها هي الحرف الاول من (كرستوس) المسيح ، والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها فى النطق فى لفظ (ثيو) الله ، والياء منها تدل على (ايوث) ابن ، والسين الثانية منها تشير الى (ثوتير) المخلص ومجموع هذه الكلمات يسوع المسيح ابن الله المخلص ، ولفظ اكسيس اتفق انه يدل على معنى سمكة ، فاصبحت السمكة عند هؤلاء رمزاً لالههم ، فانظر كيف انتقلوا من الاسماء الى الرمز بالحرف ومن الرمز بالحروف الى الرمز بحيوان دلت عليه الحروف . قال الحبر الانكليزي صموئيل مونتج :

انه كان يوجد كثيراً في قبور رومة صور اسماك صغيرة مصنوعة من الخشب والعظم وكان كل مسيحي يحمل سمكة اشارة للتعارف فيما بينهم. اهـ. فاذا كان ذلك من طبائع الامم التي احاطت بالبلاد العربية وتغلغلت فيها ونزل القرآن لجميع الناس من عرب وعجم كان لابد ان يكون على منهج يلذ الامم ويكون فيه ما يألفون ، وستجد انه لانسبة بين الرموز التي في اوائل السور وبين الجمل عند اليهود ورموز النصارى إلا كالنسبة بين علم الرجل العاقل والصبي ، أو بين علم العلماء وعلم العامة . فبهذا تبين لك ان اليهود والنصارى كان لهم رموز وكانت رموز اليهود هي حروف الجمل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : مرّ ابو ياسر بن أخطب برسول الله ﷺ وهو يتلو سورة البقرة : الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) ثم أتى أخوه حيّ بن أخطب وكعب بن الاشرف فسألوه عن (الم) وقالوا نشدك الله الذي لا إله إلا هو أحق انها أتتك من السماء ؟ فقال النبي ﷺ : نعم كذلك نزلت . فقال حيّ : ان كنت صادقاً اني لاعلم أجل

هـــذه الامة من السنين ، ثم قالوا كيف ندخل فى دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى أجل امتـــه احدى وسبعون سنة ، فضحك النبي ﷺ ، فقال حيّ : فهل غير هذا ؟ فقال نعم (المص) فقال حي : هذا اكثر من الاول ، هذا مائة واحدى وستون سنة ، فهل غير هـــذا ؟ قال نعم (الر) فقال حي : هذا اكثر من الاولى والثانية فنحن نشهد ان كنت صادقاً ماملكت امتك إلا مائتين واحدى وثلاثين سنة ، فهل غير هذا ؟ فقال نعم (المر) قال حي فنحن نشهد انا من الذين لايؤمنون ولا ندري بأي اقوالك نأخذ . فقال أبو ياسر أما انا فأشهد على ان انبياءنا قد اخبرونا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد صادقاً فيما يقول اني لاراه سيجتمع له هـــذا كله ، فقام اليهود وقالوا اشتبـــه علينا امرك كله فلاندري أبالقليل نأخذ أم بالكثير . فبهذا تعرف ايها الذكي ان الجمل كانت للتعارف عند اليهود وهو نوع من الرموز الحرفيـــة فكانت هذه الحروف لابد من نزولها فى القرآن ليأخذ الناس فى فهمها كل مذهب وتتصرف الفكر فيها .

ولأقتصر لك مما قرأته على ثلاث طرائق فيما ترمز اليه هذه الحروف :

(الطريقة الاولى) : ان تكون هذه الحروف مقتطعات من اسماء الله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه ، وعنه ان (الر) و (حم) و (ن) مجموعها الرحمن ، وعنه ان (الم) معناه أنا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح ، وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام . أقول ان ابن عباس رضي الله عنهما انما اراد بذلك ان تكون الحروف مذكرة بالله عز وجل في اكثر الاحوال وذكر الله أجل شيء ، ويرجع الامر الى انها اسماء مرموز لها بالحروف كما تقدم عن الامم السالفة من النصارى في اسكندرية وروما ، ولكن لابد ان يكون هناك ماهو أعلى وأعلى .

(الطريقة الثانية) : ان هذه الحروف من اعجب المعجزات والدلالات على صدق النبي ﷺ وهذا مما ترضاه النفوس ،

ألا ترى ان حروف الهجاء لاينطق بها إلا من تعلم القراءة وهذا النبي الامي ﷺ قد نطق بها ، والذي في اول السور ١٤ حرفاً منها وهي ٢٨ حرفاً ان لم تعد الالف حرفاً برأسه و ١٤ نصفها ، وقد جاءت في ٢٩ سورة وهي عـــدد الحروف الهجائية اذا عدت فيها الالف ، وقد جاء من الحروف المهموسة العشرة وهي (فحثه شخص سكت) بنصفها وهي : الحاء والهاء والصاد والسين والكاف .

ومعلوم ان الحروف إما مهموسة وهي ما يضعف الاعتماد عليها وهي ما تقدم ، واما مجهورة ١٨ نصفها ٩ وهذه التسعة ذكرت في فواتح السور ويجمعها (لن يقطع امر) والحروف الشديدة ثمانية وهي (اجدت طبقك) واربعة منها في الفواتح وهي (اقطك) والحروف الرخوة عشرون وهي الباقية نصفها عشرة وهي في هـــذه الفواتح يجمعها (حمس على نصره) والحروف المطبقة اربعة (الصاد والضاد والطاء والظاء) وفي الفواتح نصفها (ص ط) وبقية الحروف وهي اربعة وعشرون حرفاً تسمى منفتحة ونصفها وهو ١٢ في الفواتح . فانظر كيف

اتى في هذه الفواتح بنصف الحروف الهجائية ان لم تعد الألف وجعلها في ٢٩ سورة عدد الحروف وفيها الألف ، وكيف اتى بنصف المهموسة ونصف المجهورة ونصف الشديدة ونصف الرخوة ونصف المطبقة ونصف المنفتحة ، ولقد ذكرت لك قلاً من كثر مما ذكره العلماء في هذا المقام ولا اطيل عليك خيفة السآمة والملل وكفاك ما امليته عليك في هذه الطريقة الثانية لتعرف كيف أتى بهذه الأوصاف وكيف وضعت الحروف على هذا النظام ، إني موقن ان المتعلم لو طلب منه ان يأتي بهذه الحروف منصفة على هذا الوجه ما استطاع لذلك سبيلا فانه ان راعى نصف الحروف المطبقة فكيف يراعي الحروف الشديدة وكيف يراعي نصف المجهورة في نفس العدد ، ان ذلك دلائل على صدق صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ففائدة هذا الوجه اهم من الوجه الاول فالاول فائدته تذكير الانسان باسماء الله تعالى واما الوجه الثاني ففيه اعجاز للعقول وحيرة فيقال كيف تنصف الحروف الهجائية وتنصف انواعها من مهموسة وشديدة الخ وهذه الانواع لم يدرسها احد في العالم

ايام النبوة ولما ظهرت وافقت تلك الحروف بانصافها ان ذلك ليعطي العقول مثلا من الغرابة الدالة على ان هذا لا يقـــدر عليـــه المتعاملون فاذن هو من الوحي وهذا الوجه على قوته يفضله مابعده .

(الطريقة الثالثة) : ان الله تعالى خلق العالم منظماً محكما متناسقاً متناسباً والكتاب السماوي اذا جاء مطابقاً لنظامه موافقاً لابداعه سائراً على منهجه دل ذلك على انه من عنده واذا جاء الكتاب السماوي مخالفاً لنهجه منافراً لفعله منحرفاً عن سنته كان ذلك الكتاب مصطنعاً مفتعلا متقولا مكذوباً (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

والعالم المشاهد فيه عدد (٢٨) في :

(١) مفاصل اليدين في كل يد ١٤

(٢) وفي خرزات عمود ظهر الانسان منها ١٤ في اسفل الصلب و ١٤ في اعلاه

(٣) خرزات العمود التي فى اصلاب الحيوانات التامة الخلقة كالبقر والجمل والحمر والسباع وسائر الحيوانات التي

تلد وترضع اولادها منها ١٤ في مؤخر الصلب و١٤ في مؤخر البدن

(٤) وهكذا عدد الريشات التي فى اجنحة الطير المعتمدة عليها في الطيران فانها ١٤ ظاهرة في كل جناح

(٥) وعدد الخرزات التي في اذناب الحيوانات الطويلة الاذناب كالبقر والسباع

(٦) وعمود صلب الحيوانات الطويلة الخلقة كالسمك والحيات وبعض الحشرات

(٧) وعدد الحروف التي فى لغة العرب التي هي أتم اللغات (٢٨) حرفاً منها (١٤) يدغم فيها لام التعريف وهي ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن و١٤ لا تدغم فيها وهي ا ب ج ح خ ع غ ف ق ك م ه و ي.

(٨) والحروف التي تخط بالقلم قسمان منها (١٤) معلم بالنقط ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ ف ق ن و١٤ غير معلمة وهي ا ح د ر س ص ط ع ك و ه ل لا.

وهذا الحرف هو الالف التي هي من حروف العلة اما

الأولى فهي الهمزة فهذه ١٤ حرفاً بقيت الياء وهي تنقط في وسط الكلمة ولا تنقط في آخرها فاصبحت الحروف المعلمة ١٤ وغير المعلمة ١٤ والحرف التاسع والعشرون معلم وغير معلم لتكون القسمة عادلة، والفضل لهذا العدل للحكيم الذي وضع حروف الهجاء العربية فانه كان حكيما والحكيم هو الذي يتشبه بالله بقدر الطاقة البشرية وهذا جعل ٢٨ حرفاً مقسمة قسمين كل منها ١٤ كما في مفاصل اليدين وفقرات بعض الحيوانات

(٩) ومنازل القمر ٢٨ منزلة في البروج الشمالية ١٤ وفي البروج الجنوبية ١٤ فهذا يفيد ان الموجودات التى عددها ٢٨ تكون قسمين كل منها ١٤ فهكذا هنا فى القرآن جاءت الحروف العربية مقسمة قسمين منها ١٤ منطوق به فى اوائل السور ، وقسم منهـــا غير منطوق به في اوائلها، وكأنه تعالى يقول : أي عبادي ان منازل القمر ٢٨ وهي قسمان ، ومفاصل الكفين ٢٨ وهي قسمان وهكذا ، والحروف التي تدغم فى حرف

التعريف وهكذا التي هي معلمة كل منها ١٤ وضدها ١٤ فلتعلموا ان هذا القرآن هو تنزيل مني لاني نظمت حروفه على النمط الذي اخترته فى صنع المنازل والأجسام الانسانية والاجسام الحيوانية ونظام الحروف الهجائية فمن اين لبشر كمحمد أو غيره ان ينظم هذا النظام ويحيل هذه الاعداد موافقة للنظام الذي وضعته والسنن الذي رسمته والنهج الذى سلكته ، ان القرآن تنزيل مني وقد وضعت هذه الحروف في اوائل السور لتستخرجوا منهـــا ذلك فتعلموا اني ما خلقت السماوات والأرض وما بينهما باطلا بل جعلت النظام فى العالم وفي الوحي متناسباً وهذا الكتاب سيبقى الى آخر الزمان ولغته ستبقى حية معه الى آخر الأجيال ، ان اللغات متغيرة وليس فى العالم لغة تبقى غير متغيرة الا التي حافظ عليها دين وهل غير اللغة العربية حافظ عليها دين .